المتغيرات التشكيلية للاسطوانة مع العنصر الآدمي في التشكيل الخزفي النحتي

إعداد أ.م.د. لجية عبد الرازق عمر
كلية التربية الفنية - جامعة حلوان

مقدمة :

يعد الخزف النحتي أحد المظاهر الحضارية لفن الخزف والممتدة جذورها في حضارات شتى في جميع أنحاء العالم، فهو فن له أساليبه الخاصة التي تميزه عن غيره من الأنواع الخزفية، ويستمد الخزف النحتي المعاصر أصوله من الخزف النحتي القديم ولكن بصياغة وفكر وتقنيات العصر الحالي.

ويظهر ذلك في محاولات الخزافين المعاصرين في ضوء معايشة التقدم التكنولوجي والاتجاهات الفنية الحديثة وتداخل مجالات الفنون المختلفة، ومحاولة ربط المفاهيم الحديثة بنتاجهم الفني مما أكسبها العالمية والمعاصرة، "فجيل الخمسينات إلى الثمانينات من القرن العشرين في مصر هو الجيل الذي قضى قسطاً كبيراً من الدراسة خلال البعثات العلمية والذي تعلم أعلى مستوى من التقنيات الفنية، و عايش المتغيرات الفنية للحركة الثقافية الدولية" (١-٤٥).

وساهم في إخراج فن الخزف من التقليدية إلى مجال أوسع بعيداً عن مفهوم الخزف وحدوده، واتجاه الخزافون بأعمالهم في البنائيات والمعارض إلى إعلان رغبتهم في الخروج من حيز النفعية والزينة إلى حيز التعبير.(٢-١١٧)

ويوجد في مصر إسهامات موازية للحركة التشكيلية في العالم، فكثير من الخزافين والنحاتين المصريين كان لهم أعمال فنية متميزة في الخزف النحتي أمثال جمال السجيني، وكمال عبيد، وعايدة عبد الكريم، وصالح رضا، وسعيد

الصدر وعبد الغني الشال وغيرهم، مما أسهم في إثراء المجال الفني للخزف النحتي من خلال إبداعاتهم المستمرة والبحث والتجريب في التقنيات المرتبطة بمعالجات السطح وطرق التشكيل، والاهتمام ليس بالأشكال الفنية فقط بل بطريقة صياغة عناصر وعلاقات تلك الأشكال، وتأثير تلك العلاقات بالناتج الكلي للعمل الفني[٣-١١]، من خلال دراسة التفاصيل وصولا للكليات الشكلية بإعتبارها منظومة متفاعلة ومتماسكة في وحدة وشمولية.

وترتكز الأعمال الفنية المقدمة في إطار هذا البحث على العلاقة بين الشكل الهندسي المتمثل في الشكل الاسطواني مع الجسم الإنساني في تكوينات تعبيرية مختلفة، يعاد بناؤها في نظام جديد قائم على مجموعة من المتغيرات التشكيلية وتتلخص هذه المتغيرات في الآتي :

- القطع
- الإزاحة
- تغير الوضع
- الحذف
- الإضافة.

وتم تطبيق متغير أو أكثر على الأعمال موضوع تجربة البحث بتقسيم الاسطوانة بخطوط مستقيمة أو منحنية في اتجاهات أفقية ورأسية ومائلة، في إطار الوعي بحركة وشكل الجسم الآدمي مما يشكل تجانسا مع تركيبة بنية الشكل، في سبيل إيجاد قيمة تعبيرية ملائمة للوصول إلى تكوينات فنية، من خلال المزاوجة بين الأوضاع الناتجة من تطبيق المتغيرات التشكيلية السابقة على الاسطوانة، والجسم الآدمي، لإضافة قيمة تعبيريه على التكوين الخزفي، وظهور العنصر الآدمي في الفنون لم يكن حديثاً، فقد مثلته الكثير من فنون الحضارات القديمة، والإغريقية وغيرها. [٤ - ٩]

وفي القرن العشرين أصبح الجسم الآدمي محمل برؤى ومفاهيم عصره، وأهتم الفنان بالمعنى المجرد للشكل وظهوره كوسيط تشكيلي معبر له أبعاده

تشكيلية قائمة على المزاوجة بين الشكل الاسطواني والعنصر الآدمي في التشكيل الخزفي.

الخامـــات :

والخامات المستخدمة في بناء الأعمال الفنية ومعالجة سطحها كالآتي :

- طينات حجرية تتميز بالبياض الناصع وتحملها الحراري (مخـــروط 03) بالاضافة إلى طواعيتها للتشكيل.
- طلاءات زجاجية بلورية بألوان مختلفة، وساعد على وضوحها الألـــوان الأرضية الفخارية للبيضاء.
- ألوان فوق الطلاء (Over glaze) معدنية بلونين ذهبي وفضي وطبقـــت على العنصر الآدمي فقط.
- ملامس البصمات المجسمة من الخيش المشبع بالطينات السائلة.

تقنيات البناء :

استخدمت طريقة الشرائح في بناء الأشكال الاسطوانية بإرتفاع ثلاثـــون سنتيمتر (٣٠سم) تقريبا، وإجري عليها عمليات القطع المختلفة بعـــد تماســـكها وهي في حالة صلابة الجلد leaser hardness.

وتم تشكيل العنصر الآدمي على سطح الاسطوانة في أوضاعه المختلفة، بالإضافة والحذف بما يتلائم مع فكرة العمل.

وفيما يلي عرض وتحليل للأعمال الفنية المنفذة في إطـــار المتغيـــرات التشكيلية للإسطوانة مع العنصر الآدمي في التشكيل الخزفي النحتي.

في شكل (١) استخدم القطع الأفقي للثلث العلوي من الاســـطوانة وهـــو يصور محاولة من الإنسان في فصل ورفع جزء من الاسطوانة يمثـــل الجـــزء

العلوي لها، ويظهر الشكل مجموعة من الأسلاك المعدنية التي تؤكد على ارتباط الجزء العلوي من الاسطوانة بباقي الجسم مما يبرز مدى المقاومة لمحاولة الرفع من قبل الإنسان الآدمي لهذا الجزء.

والتحام الجسم بالاسطوانة وحركة انفراج الأرجل من أسفل أكد على الثبات والقوة، ويظهر التضاد اللوني بين بريق ولمعان اللون الذهبي بألوان فوق الطلاء مع الأخضر المتداخل باللون البني من الطلاءات الكرستالية.

شكل (١)

شكل (٢)

وفي شكل (٢) تم تنفيذ علاقة القطع المائل للاسطوانة والحذف من الأمام والخلف واستقرار الشكل في وضع الجلوس على القطع الاسطواني الذي يمثل المقعد في التجويف الذي اعتمد على الحركة القوسية المحتوية لجزع العنصر الآدمي.

والمبالغة في امتداد الساق أدى إلى تغيير امتداد أسفل الاسطوانة، ومثلت وضعية الجلوس استدعاء استقرار الجسم وثباته.

وأكد اللون المعدني الأسود لشكل الاسطواني واللون الفضي بانعكاسه

الهادئ على معنى العمل. وامتداد الذراع مع ميل الكتف إلى الخلف واستناد الرأس على القطع الخلفي للاسطوانة، وتشكيل الذراع اليمنى لخط أفقي يتعامد على الخطوط الطولية للأرجل اضاف قيمة جمالية أوحت بالسكون.

كما استخدم في شكل (٣) القطع المائل الأفقي وتغير الوضع في إعادة تركيب الشكل الاسطواني في الهيئة التي تشبه الزجزاج والتي توحي بالسقوط، ورد الفعل الذي يظهر في حركة العنصر الآدمي وحمايته للرأس من سقوط أجزاء من الكتل الشديدة الميل والذي أكده حركة القطع العلوي المائل.

شكل (٣)

شكل (٤)

وتتألف حركة الأرجل والأذرع مع الإنكسارات المتعددة في الشكل الاسطواني، وأدى توزيع الملامس اللونية المتداخلة لطلاء الكريستال إلى الإحساس بالحركة وتأكيد الإيحاء بالسقوط للجزء العلوي المائل .

هنا في شكل (٤) تم القطع والفصل بخط رأسي في منتصف قطر الدائرة العلوية للاسطوانة و انضغاط العنصر الآدمي بين الكتلتين، ووجود الخطوط الأفقية بأطوال مختلفة من الأسلاك المعدنية، أكد الإحساس بالضغط ومحاولة تقليل هذا الضغط من جانب العنصر الآدمي بالدفع بالرأس واليدين، أدى إلى

انفصال الاسلاك عن السطح المقابل، والشكل في مجمله بإنفراج الخط الخارجي للاسطوانة من أعلى وضيقه من أسفل يتشابه مع كتل نحتية مألوفة كجذوع الأشجار والأعمدة في المعابد المصرية القديمة.

في الشكل (٥) تم القطع بخطين رأسيان متعامدين في حركة من أعلى إلى أسفل مع الإزاحة الجانبية ليتكون شكل متقاطع للمفروكة من أرباع الدوائر، مما أضاف بعداً جمالياً للمسقط العلوي لسطح الاسطوانة، أكده ميل قطاعات أجزاء المفروكة وظهور مساحات متدرجة الميل في المحيط العلوي لسطح الاسطوانة تبعاً لتقسيم دوائر السطح لإثراء الجانب التشكيلي للعمل.

شكل (٥)

شكل (٦)

وأضافة قطاعات من أسلاك النيكل كروم على إمتداد الحواف الجانبية للقطاعات الأربعة أضاف إيقاع خطي متدرج يوحي بحركة تصاعدية أو تنازلية على سطح الاسطوانة .

ويأخذ العنصر الإنساني دوراً في محاولة جمع الأجزاء، بإلتفاف الذراعين حول الشكل ودعم الجوانب بالرأس والكتف في محاولة لتثبيت الأجزاء المفصولة، مما يبرز لغة الحوار التعبيري بين بنية الذراعين والشكل الاسطواني

إلإثراء الجانب التشيكلي للعمل.

تم قطع الاسطوانة في شكل (٦) إلى نصفين من أعلى إلى أسفل بخط رأسي، وإزاحتهما وهما في وضع التلامس إلى أكثر من النصف تقريباً، لينشأ انحناء لسطح موجب يمتد ليتقاطع مع فراغ داخلي سالب يستقر فيه العنصر الآدمي ويبرز منه في محاولة للتطلع إلى الجانب الثاني الذي تم إغلاقه بأسلاك معدنية في الاتجاه الأفقي، وهي تعبير عن التطلع للمجهول.

واستخدم الطلاء الأزرق البلوري المخلوط بالالوان المتداخله الخضراء والصفراء والبيضاء ليعبر عن الحركة و تداخل الأفكار والموضوعات في مخيلة العنصر الآدمي.

اعتمد شكل (٧) على الامتداد الأفقي نتيجة لعملية القطع وتغيير الوضع ليكون شكل الاسطوانة هذا التكوين الهرمي، والذي يحصر فراغ هرمي أسفله ناتج عن شكل الاسطوانة، وامتداد الجزع الآدمي من أسفل إلى أعلى وامتداد الذراع في اتجاه معاكس إلى الجانب الآخر من القطاع الاسطواني والتفاف اليد اليسرى حول بدن الاسطوانة.

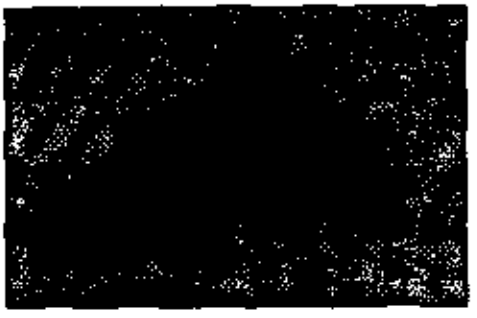

شكل (٧)

ويأتي دور البصمات المجسمة من خامة الخيش المشبع بالطينات السائلة في

حركة ملتفة حول الجزع واليد اليسرى لتجعل الجسم الإنساني أكثر ارتباطاً واستقراراً على السطح الاسطواني المائل، كما تأكد التضاد بين خشونة ملمس بصمة الخيش المجسمة والنعومة واللمعان لسطح العنصر الآدمي وأضاف إليها معاني توحي بالانزلاق والمقاومة والتشبث بالذراع الممتد في الجانب المعاكس.

شكل (٨) تم القطع الحلزوني حول محيط الاسطوانة وسحبها إلى أعلى ودعم الفراغ الناتج بأسلاك معدنية تخلقه، كما يرتكز العنصر الآدمي على أطراف الأصابع في امتداد الجسم لأعلى ، ليتناغم مع اتجة حركةالقطع الحلزوني، ووجود الفراغ في مواجه الرأس يوحي بالمحاولة للكشف عن المحتوى الداخلي للاسطوانة.

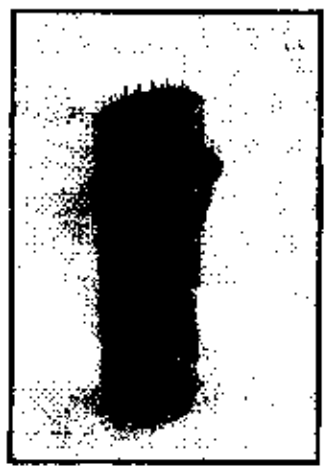

شكل (٨)

شكل (٩)

وتوزيع قطاعات صغيرة من الأسلاك المعدنية على السطح العلوي للاسطوانة أضاف إيقاعاً تصاعديا يؤكد حركة التفاف الفراغ حول الجسم.

يتخذ القطع الاتجاه الرأسي في شكل (٩) ويتحرك على السطح العلوي

للاسطوانة، وتم دفع هذا القطع قليلا داخل جسم الاسطوانة ليهيئ مكان يحتوي العنصر الآدمي وتستقر الأذرع والكتف والرأس في سكون وطمأنينة.

وفي الامتداد على جانبي العنصر الآدمي، وعلى السطح الدائري الاسطوانة، يأتي بروز قطاعات حادة من الأسلاك المعدنية على امتداد القطع الجانبي التي توحي بتعارض في المعنى، نتيجة الإحساس بخطورة وضع الأسلاك في هذا الوضع بالقرب من الجسم الآدمي، والطلاءات الزجاجية البلورية بألوانها الكثيفة إضافة حركة تتعرض مع سكون الشكل.

في التكوين شكل (١٠) قطع أفقي للاسطوانة يتشابه مع شكل رقم (١) ولكن حركة العنصر الآدمي في محاولة لضغط من أعلى إلى أسفل، باتخاذ الأيدي والذقن للمعاونة في الدفع إلىأسفل، ووقف الجسم على أطراف الأصابع لزيادة الضغط تحت تأثير وزن الجسم، وبروز بصمات الخيش المجسمة نتيجة للضغط، والعمل في مجمله يوحي بالحركة والقوة.

شكل (١٠)

شكل (١١)

اتخذ الجسم الآدمي في شكل (١١) وضع الانقضاض مثل الطيور المحلقة على الحافة الاسطوانية المقطوعة بخط أفقي مائل، والتفاف الأذرع حول فوهة الاسطوانة في شكل يعبر عن الاحتواء والسيطرة.

و شكل الملمس المنسدل من أعلى إلى أسفل فى مقدمة الشكل حركة أضافت للاسطوانة إيقاعات ملمسية متنوعة من النسيج الشبكى لخامة الخيش.

هنا في شكل (١٢) استخدم القطع بثلاثة خطوط أفقية قسمت الشكل إلى أربع أجزاء ، تم إزاحة كل جزء في اتجاه مختلف نتج عن ذلك بناء لشكل متدرج من الكتل ألاسطوانيةيوحي بالايقاع و بعدم الاستقرار والسقوط.

واتخذ العنصر الآدمي وضع للمحافظة على أجزاء الاسطوانة، وحمايتها من السقوط، بالدعم و المساندة بالأيدي والأرجل والرأس.

شكل (١٢)

شكل (١٣)

وبروز أطوال من سلك النيكل كروم في الاتجاه الرأسي على المناطق البارزة من القطاعات الاسطوانية أضاف إيقاعاً حركياً يقود الرؤية في إتجاه تصاعدي إلى أعلى ، ليكسب العمل بعدا تعبيرياً جديداً..

أجري القطع المتعدد في شكل (١٣) بالمحور المائل على شكل الاسطوانة وتم تغيير الوضع عند تجميع الأجزاء نتج عنه هذا الشكل الزجزاجي الهيئة ، الذي يشعرنا بحركة تصاعدية على المستويات المنكسرة للاسطوانة، تبرز العنصر الادمى الذى يخرج من أعلاه قمة الاسطوانة بصعوبة ، ويشكل كلاً من الجذع والقدم والذراعين مراكز مختلفه تدعم وتعاون الشكل الآدمي في الخروج من الاسطوانة، مما شكل توزيعات جمالية للأطراف على سطح الاسطوانةفى اتجاهات مختلفه .وسيولة الطلاء البلورى فى خطوط طولية دعم انكسارات لسطح الاسطوانة وأكد على الحركة .

في شكل (١٤) برز الشكل الآدمي بالون المعدني أمام الاسطوانة في حالة دفاع ومواجهة، وارتبط الجسم بالاسطوانة من خلال امتداد قطع الاسطوانة المائل لينتهي بالرأس والذي يبدأ من الكتف.

شكل (١٤)

شكل (١٥)

احتواء العنصر الآدمي للاسطوانة بالذراعين الممتدتين للخلف والتي تحيط بالاسطوانة ذات اللون الأحمر يظهر التكوين النحتي بأداء شكلي يتميز بالحركة بإمتداد حركة الذراعين في حركة ملتفة متناسقة مع وضع وشكل الاسطوانة.

في الشكل (١٥) قطع الجزء العلوي من الاسطوانة ليشكل غطاء لها يمثل حاوية للجسم الادمي يخرج منها رأسه فقط وبالتالى لا يظهر من العنصر الآدمي إلا القليل وهي محمله بمعاني كثيرة تعبر عن المعاناة.

نتائج البحث :

١. إن إعادة بناء الإسطوانة – بالرغم من كونها بنية هندسية منتظمة – في نظام جديد قائم على تطبيق مجموعة من المتغيرات الفنية تسهم في إضافة أبعاد تشكيلية جديدة من خلال العلاقة بين العنصر الآدمي والإسطوانة.

٢. التقنيات الخزفية تبرز سمات خاصة بفن الخزف النحتي.

٣. تؤكد الأعمال الفنية موضوع البحث على قيمة وأهمية الجانب التعبيري المرتبط بمجال الخزف النحتي .

المراجـــع

١. صالح رضا : "ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م.

2. Josie Warshaw, The Pottery Hand Book, Silver Dale Books, England, 2005.

٣. نجية عبد الرازق عمر: " اساليب التوليف كمدخل تجريبي لتدعيم القيم الفنيـــة والتعبيرية في مجال الخزف بكلية التربية الفنية"، رســـالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعـــة حلـــوان، القـــاهرة، ١٩٩٤م.

٤. أنغام سعدون العذاري : " بنية الخطاب في المنحوتات الفخارية الرافدينيـــة" دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠٠٥م.

5. Steve Mattison, The Complete Potter, Apple Press, London, 2003

٦. عصام محمد درويش : "أساليب تناول الشكل الجزئي من الجسم الآدمية فـــي الفن الحديث والإفادة منه فـــي تـــدريس النحـــت" رســـالة ماجستير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩٨م.

٧. هناء محمد الغوري : "القيم الفنية للخزف النحتي المعاصر ودوره في إثـــراء تدريس الخزف"، رسالة ماجستير، كليـــة التربيـــة الفنيـــة، جامعة حوان، القاهرة، ٢٠٠١م.

٨. إسماعيل شوقي : "التصميم عناصره وأسسه في الفن التشكيلي"، مكتبـــة دار الالشرق، القاهرة، ٢٠٠٧م.

9- Dolors Ros, Ceramicsa, Apple Press,, London, 2003.

أ. مختـــار رحـــاب
معهد علم الاجتماع. المركز الجامعي خنشلة. الجزائر.

عنـوان المقـال:

أية علاقة بين منهج البحث. وطريقة البحث في ميدان الأنثروبولوجيا؟

ملخـــص:

يتناول هذا المقال الإجابة عن سؤال مرتبط بالجانب المنهجي في مجـال البحث الأنثربولوجي، ومضمون السؤال ، ماهي العلاقة بـين مـنهج البحـث، وطريقة البحث في ميدان الأنثربولوجيا، ومن خلال البحث، والتحليل يمكن القول أن هناك فرق بين المنهج الأنثربولوجي والطريقة الأنثربولوجية، فإذا كان منهج البحث الأنثربولوجي هو جملة الخطوات أو الأساليب التي يعتمدها الباحث أثناء القيام ببحث علمي، ويكون هدفه في النهاية هو الوصول إلى نظرية أو قانون أو تعميم، فان الطريقة الأنثربولوجية تعني تطبيق قواعد المنهج الذي تـم اختيـاره أثناء القيام بدراسة مجتمع ما، دراسة أنثربولوجية.

Abstract :

This article concludes the answer on the question concerned the Methodologic side in the anthropological research domain, And the content of the question is: what is the relationship between the research Method and the research manner in the anthropological research and the analyse, I can say:

There is a difference between anthropological Methode and anthropological Manner; while the anthropological Mis a sentence of paths or styles on which the researcher depends on when applying a scientific research, and his aim at the end is the achievement of a theory or law, then the Anthropological manner means the application of Method's rules that was selected during an anthropological study of a particular society.

مقدمـــة:

لقد كان لتعدد اهتمامات وموضوعات الدراسة والبحث الأنثربولـــوجي، تفرع وتعدد أقسام الأنثربولوجيا، فهناك قسم يهتم بالدراسات الفيزيقية، ومنها ما تعلق بالدراسات الاجتماعية والثقافية، وهناك فرع اهتم بدراسة اللغات، والآداب، واللهجات، وفرع كان موضوع دراسته الشخصية والجوانب النفـــسية، وظلـــت الأنثربولوجيا تتفرع، حتى صارت تتضمن فروع تركز مجال اهتمامهـــا علـــى دراسة شؤون الحياة المعاصرة، كالأنثربولوجيا الحضرية مثلا.

وانطلاقا مما سبق أصبح مـــن الطبيعـــي أن يـــستخدم المتخصـــصون والباحثون في مجال الأنثربولوجيا مناهج متعددة، منها ما هو مشترك مع بعض فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنها ما هو خاص بعلـــم الأنثربولـــوجي، وكمثال على ذلك انفراد الأنثربولوجيا الفيزيقية بمنهج القيـــاس الأنثربولـــوجي (الأنثروبومتري)، وقد كان تطور المنهج في الأنثربولوجيا مصاحبا لتطور الفكر الأنثربولوجي، وكان تفسير الحقائق الأنثربولوجية قائم علـــى أســـاس ترابطهـــا وتداخلها بعضها ببعض، وهذا الذي ميز مناهج البحث الأنثربولوجي عن مناهج البحث في العلوم الطبيعية، وبعض فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ونظرا لتعدد موضوعات البحث الأنثربولوجية، من دراسة تطور الإنسان من الناحية الفيزيقية، ودراسة البناء الإجتماعي، والحياة الثقافية، وما يتولد عنه من انجازات تصب في مجرى الحضارة الإنسانية عموما، وبتعدد هذه الموضوعات البحثية، تعددت مناهج البحث الأنثربولوجي.

وإذا أردنا أن نقوم بشرح ما يعنيه مصطلح منهج البحث الأنثربولوجي، فيمكننا أن نقول أن مناهج البحث الأنثربولوجي هي الأساليب المنهجية العامة التي يعتمد عليها الباحث أثناء انجاز بحثه، من أجل التوصل في الأخير إلى نظرية أو قانون، وبالمقابل إذا أردنا تعريف طريقة البحث الأنثربولوجي، أو الطريقة الأنثربولوجية لدراسة المجتمع، فيمكننا القول أنها تعني تطبيق قواعد المنهج نفسه في دراسة مجتمع ما دراسة أنثربولوجية، ولكن يشترط تحديد زمان ومكان الدراسة.

وإذا كانت مناهج البحث الأنثربولوجي متعددة، فان الطرق الأنثربولوجية التي يستخدمها الباحث الأنثربولوجي، لجمع المادة والمعلومات الأثنوغرافية من الميدان متعددة كذلك، نذكر منها طريقة الملاحظة بالمشاركة، وطريقة المقابلة الموجهة، وطريقة المقابلة غير الموجهة، الملاحظة المباشرة، المعايشة، الأوتوبيوغرافي، طريقة المقارنة، طريقة دراسة الحالة وتاريخ الحياة، كما أصبح الفيلم الأثنوغرافي طريقة رئيسية ومهمة من طرق التعبير، ووجد فيه بعض الأنثربولوجيين أداة جديدة لعرض نتائج بحوثهم الميدانية، وغيرها من طرق البحث الأنثربولوجي.

وتفاديا للمشاكل المطروحة عند دراسة الظواهر الإنسانية، فان علماء الأنثربولوجيا قاموا بتقنين وضبط منهج البحث، وكذلك تحديد قواعد وضوابط الدراسة الميدانية، كما اعتمدوا كذلك على طرق علمية موضوعية متعددة، سعيا منهم للوصول إلى نتائج علمية صحيحة في دراساتهم.

غير أن السؤال الرئيسي والهام الذي يطرح، ماهي العلاقة بين منـــاهج البحث الأنثربولوجية، والطريقة الأنثربولوجية لدراسة المجتمع؟ هل هي علاقـــة تكاملية ضرورية لا انفصال بينهما؟ أم هي علاقة تضاد لا تساند بينهما؟ أم ماذا؟ هذا الذي سنقوم ببحثه وتبيينه، والسعي لتقديم إجابة له من خلال هذا المقال.

أولا: مفهوم منهج البحث:

لقد شاعت كلمة " منهج " أو " مناهج " في العلم الحديث، وكانت أكثر شيوعا، في مجال العلوم الاجتماعية خاصة، علـــم الاجتمـــاع والأنثربولوجيـــا، وحسب العديد من العلماء والمفكرين، فان كلمة مـــنهج هـــي وليـــدة المباحـــث والميادين المنطقية، حيث يقول في هذا المجال العالم الفرنـــسي " لالانـــد " : أن مناهج العلوم أو Méthodologie ، تعد جزءا هاما من أجزاء المنطق، وميدانا أساسيا من ميادينه.(١).

وكانت فكرة المنهج " Méthode " بالمعنى الاصطلاحي، قـــد أطلقـــت بداية من القرن السابع عشر على يد " فرانس بيكون " ثم وافقـــه العديـــد مـــن العلماء، وصار الاهتمام أكثر بالمنهج التجريبي، ومن ثمة أصبح معنى كلمـــة " المنهج " : " هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلـــوم بواســـطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يـــصل إلى نتيجة معلومة. " .(٢).

ثانيا: منهج البحث الأنثربولوجي:

لقد تعددت مناهج البحث التي تستخدمها الأنثربولوجيا إنطلاقا من تعـــدد فروعها ، فهي تعتمد على المنهج التجريبي و " الأنثربومتري " أو منهج القياس الأنثربولوجي، في مجال الأنثربولوجيا الفيزيقية، وهناك بعض المناهج العامـــة التي تشترك فيها الأنثربولوجيا مع فروع عديدة من العلوم الإنـــسانية، والعلـــوم الاجتماعية، سيما في مجال الدراسات الاجتماعيـــة والثقافيـــة، حيـــث يحـــصل

الاشتراك بين الباحث الأنثربولوجي والباحث في علم الاجتماع أو النفس أو علم السياسة، أو الاقتصاد في استخدام مناهج عامة .

إن الاعتماد على مناهج البحث عند انجاز الأبحاث والدراسات الأكاديمية جد ضروري ذلك أن المنهج هو الموجه والمرشد للخطوات والمراحل التي يقوم بها الباحث عندما يحاول الربط بين ما تحصل عليه من بيانات ومعطيات من الواقع، وبين النظرية التي تعبر عن طريقة الباحث في فهم هذا الواقع.

إن الدراسات الأنثربولوجية تمتاز بترابطها وتكاملها من ناحية ، وبنظرتها الشاملة من ناحية أخرى، وذلك من خلال ارتباط الظواهر الاجتماعية بالبيئة الاجتماعية، والمجال الأيكولوجي، وهذا الذي يجعل تفسير الحقائق الأنثربولوجية قائما على ترابطها وتشابكها، وهذا الذي يميز المناهج الأنثربولوجية عن غيرها من مناهج العلوم الأخرى، سواء كانت طبيعية أو اجتماعية، وكانت مناهج البحث الأنثربولوجية قد تطورت مصاحبة للتطور التاريخي الذي مرت به الأنثربولوجيا كعلم، وكانت الأنثربولوجيا قد بدأت من خلال بحوث مونوغرافية، ثم حصل تطور وصارت تعتمد على البحوث المقارنة، هذه الأخيرة كانت قائمة على أسس علميةحتى أصبحت الأنثربولوجيا تستخدم المناهج الإحصائية والقياسات العلمية.

لقد شهدت الأنثربولوجيا كعلم تحول وتطور كبير في المناهج، والنظريات، وطرائق البحث خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح أسلوب الدراسة الحقلية نقطة انطلاق لعملية نقدية جديدة وكان النقد في أغلبه موجه إلى الطريقة التقليدية في البحث الميداني، هذه الأخيرة كانت مسموح فيها أحيانا للباحث بدراسة الوقائع الأنثربولوجية بصورة تغلب عليها رؤيته الخاصة، التي لا تخلو من التأثر بقيمه ومعتقداته ولغته واتجاهاته على رؤية الأهالي ذاتهم وهذا أسلوب من شأنه إنتاج المؤلفات الضخمة دون أن يؤدي إلى تعميق الفهم.(٣).

ويذكر أحمد أبوزيد أن الأنثربولوجيا في الخارج -ويقصد العالم الغربي- تغيرت تغيرا جذريا، وهي ترتكز على موضوعات الساعة، فالأنثربولوجيا هي منهج يطبق على الكثير من مشكلات البحث، لم يكن يتعرض لها الأنثربولوجيون السابقون.(٤).

ثالثا: المنهج في الفكر الأنثربولوجي:

إن المتتبع لتاريخ الفكر الأنثربولوجي يجد تنوع واختلاف مناهج البحث وتعددها، وهذا راجع إلى أسباب متعددة، منها اختلاف اهتمامات الباحثين في ميدان الأنثربولوجيا، وقبله المراحل التاريخية لتطور الأنثربولوجيا، والعمل على تحديد موضوعها، وأهم الغايات العلمية المرجوة من وراء دراسة هذا العلم، إضافة إلى تأثر الفكر السوسيولوجي والأنثربولوجي بالتيارات الفكرية الكبرى من مرحلة زمنية إلى أخرى.

وقد كان لإسهامات عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم في معالجة الظواهر الاجتماعية في ضوء المنهج العلمي، أثر كبير عند الأنثربولوجيين، وكان سببا في إثارة العديد من القضايا في الفكر الأنثربولوجي، وكان أبرز من تأثر بالمنهج الدوركايمي العالم البريطاني راد كليف براون، حيث عمل هذا الأخير على إكساب الأنثربولوجيا الاجتماعية خصائص العلم الطبيعي، فكان ينظر للأنساق الاجتماعية على أنها أنساق طبيعية و لا جدوى من معرفة تاريخ نشأة هذه الأنساق وتشكلها وتطورها. وفيما يلي عرض لمناهج كبرى في مجال الأنثربولوجيا:

١- الأنثربولوجيا والمنهج الطبيعي:

لقد نظر راد كليف براون إلى علم الاجتماع على أنه علم طبيعي، وأقر على أن المجتمع عبارة عن نسق طبيعي وبالتالي فهو خاضع ومسير بمجموعة

من القوانين، والهدف المرجو من إجراء الدراسات والأبحاث حول المجتمع هو التوصل إلى كشف وصياغة هذه القوانين.

وقال راد كليف براون أن الأنساق الاجتماعية هي أنساق طبيعية، وبالتالي فطبيعة المنهج الملائم لدراستها هو المنهج الطبيعي، على اعتبار أن نسق المفهومات يحدد معنى البناء الاجتماعي، والوظيفة الاجتماعية، ويرى الكثير من العلماء والمفكرين أن ما يناسب الأنثربولوجيا كعلم هو المنهج الطبيعي، وقد كان تطبيق المنهج الطبيعي ناجح في الأنثربولوجيا الفيزيقية، التي اهتمت بدراسة الجانب الفيزيقي للإنسان، كالهياكل العظمية، حجم الجمجمة، والقياسات الأخرى المختلفة، واعتمد الباحثون في ذلك على الحفريات، وإجراء التجارب على البقايا المادية التي خلفها الإنسان، أما الأنثربولوجيا الاجتماعية فقد يقول البعض أنها لا يمكن أن تكون تجريبية، غير أنها تشترك مع بعض فروع العلوم الطبيعية.

وتذكر بعض الدراسات أن راد كليف براون يرى: أن المنهج التجريبي هو المنهج العلمي الوحيد الذي يمكن عن طريق استخدامه التوصل إلى التعميمات الاستقرائية، كما أن الملاحظة التجريبية هي الملاحظة الموجهة ببعض التصورات العامة، وبذلك يمكن التوصل إلى التعميمات الاستقرائية التي يستقرؤها الباحث من المشاهدة التجريبية المنظمة والتي تصدق على عدد معين من الظواهر الاجتماعية على اعتبار أنها تمثل نوعا خاصا من الظواهر الطبيعية، التي تسير وفق قانون الطبيعة. ويقصد راد كليف براون بتطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية هو التوصل إلى اكتشاف القانون الذي تخضع له الظاهرة، على اعتبار أنها إحدى الحالات الجزئية، وتقتضي خطوات المنهج العلمي أن تستند إلى وضع الفروض، ولذلك استخدم راد كليف براون في بحوثه الأنثربولوجية الفروض في توجيه هذه البحوث، ويعرف هذا الأمر بالمنهج

الفرض الاستنتاجي، ويستند هذا المنهج على فرض بعض الفروض العلمية باعتبارها قضايا أولية مستنبطة على أساس منطقي نظري، أو من خلال المشاهدات العينية التي يقوم بها الباحث في الحقل الاجتماعي.(٥).

مع ضرورة الإشارة إلى أن راد كليف براون قد أكد على علمية الأنثربولوجيا الاجتماعية، ورأى ضرورة التمييز بين القوانين الطبيعية، والقوانين الاجتماعية، ذلك أن هذه الأخيرة هي قوانين من نوع خاص.

وإذا كان رادكليف براون قد أقر بعلمية الأنثربولوجيا الاجتماعية، فهناك من عارضه من العلماء، ورأى أن الأنثربولوجيا الاجتماعية ما هي إلا فرع من فروع الدراسات الإنسانية، ومن بين هؤلاء العلماء نجد ايفانز بريتشارد الذي قال أن الأنثربولوجيا الاجتماعية إذا نظرنا إليها من زاوية موضوع دراستها، ومن ناحية أخرى إلى غاياتها أو الأهداف المرجوة من دراستها، فنجد أولا من ناحية الموضوع أن الأنثربولوجيا الاجتماعية تدرس المجتمع الإنساني وتنظر إليه على أنه مؤلف من أنساق رمزية، وأخلاقية، وبالتالي فهي ليست أنساق طبيعية، وهذا يؤدي بنا إلى استنتاج مفاده أن الأنثربولوجيا الاجتماعية تهتم بالكشف عن الأنماط والأنساق السائدة، لا التوصل إلى قوانين طبيعية، ويمكننا الاستفادة من نتائج الدراسات الأنثربولوجية الاجتماعية في مجال التخطيط.

ويرى ايفانز بريتشارد أن وجهة نظر راد كليف براون باعتبار الأنثربولوجيا الاجتماعية علم يخضع للمنهج العلمي الطبيعي، نشأت من تأثره بالفكرة السائدة في القرن الثامن عشر، التي كانت تنظر للمجتمعات الإنسانية على أنها أنساق طبيعية، وأقر بريتشارد على أن الأنثربولوجيا هي أحدى فروع الإنسانيات، وحدد الشروط والضوابط التي يجب أن يتصف بها الباحث الأنثربولوجي عند القيام بدراسة المجتمعات الإنسانية، ولعل من أبرز هذه

الشروط هو أن يكون الباحث قادرا على التفاعل مع مجتمع البحث، وأن يشعر كذلك الباحث بالاهتمام والانعطاف إزاء موضوع الدراسة.(٦).

إن تطبيق المنهج العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، يختلف عنه في مجال الطبيعيات، ففي مجال الطبيعيات يمكننا تبسيط الظاهرة، والقدرة على عزلها تماما عن المؤثرات الخارجية ، أما الظواهر الاجتماعية والإنسانية فالأمر يختلف تماما، فهي ظواهر معقدة جدا إضافة إلى صعوبة عزلها صناعيا عن إجراء التجربة، إضافة إلى صحة التنبؤ في الأبحاث الطبيعية، عكس التنبؤ في الأبحاث الإنسانية والاجتماعية، ذلك أن الأحداث الاجتماعية لا تتكرر بنفس الطريقة، ونفس الدرجة.

وقد أدى استخدام المنهج العلمي في الدراسات الأنثربولوجية إلى ظهور بعض القضايا المنهجية، ومن أبرز هذه القضايا استخدام مصطلح الضبط، والتجريب، ويرى بعض المفكرين أن استخدام مصطلح الضبط في الدراسات الأنثربولوجية يجعل من الأنثربولوجيا علما، بينما رفض البعض الآخر استخدام هذين المصطلحين على أساس أن هذا الموضوع يعتبر ذا أهمية بسيطة في الدراسات الثقافية، والواقع أن هذا الاختلاف في الاتجاه نحو تقدير قيمة وإمكانيات الضبط والتجريب في الدراسات الأنثربولوجية، نتج عن اهتمام الأنثربولوجيين بالمشكلات المنهجية، وخصوصا هؤلاء الذين يؤيدون العلاقة بين الأنثربولوجيا والعلوم الطبيعية، ولذلك يفضلون استخدام التكميم والاختبارات الموضوعية والتجريب، بالإضافة إلى تطوير وتحسين الأدوات التكنيكية التي تؤدي إلى التنبؤ والموضوعية في جمع المادة، وكتابة التقرير، وتفسير المادة التي يحصل عليها الباحثون من الدراسات الميدانية. أما الفريق لآخر من العلماء الذين لا يؤيدون فكرة العلاقة بين الأنثربولوجيا والعلوم الطبيعية، فإنهم يركزون على أهمية العلاقة بين الأنثربولوجيا والإنسانيات، ويؤكدون على استخدام

الإدراك والتبصر والحدس، وعنصر الفن بالإضافة إلى أنهم أقل تفاؤلا حول إسهام التكميم في الأنثربولوجيا.(٧).

٢- منهج الفهم الذاتي عند الأنثربولوجيين:

إن منهج للفهم الذاتي ethnoscience في الفكر الأنثربولوجي يهدف للتوصل إلى الطريقة التي ينظم بها الأفراد ثقافتهم وطريقتهم في استخدام هذه الثقافة، ويندرج الفهم الذاتي في الفكر الأنثربولوجي تحت مسمى المدخل المعرفي، ويسعى هذا المدخل إلى فهم تصورات الفرد عن العالم والمحيط الذي يحيا فيه، وكيفية تشكل هذه التصورات، ومن خلال المدخل المعرفي فالأفراد الذين لهم ثقافة واحدة مشتركة، بالضرورة لهم نسق معرفي موحد، يعمل على تنظيم مشاعر وسلوك الأفراد، ويسعى الباحث الأنثربولوجي من خلال المدخل المعرفي إلى محاولة معرفة تصنيف الأفراد، وكيف يقومون بهذا التصنيف، وكيف يستدل الباحث الأنثربولوجي على العمليات العقلية؟ غير أن الإشكال المطروح أمام الباحث الأنثربولوجي هو اختلاف مشاهداته وإدراكه لجوانب من الثقافة مع مشاهدات وإدراك أصحاب الثقافة ذاتها، حيث يتولد عنه في الأخير مجموعة من التصورات والتمثلات والأحكام، والتي تختلف عن تلك التي لاحظها الباحث الأنثربولوجي.

ويمكننا أن نعتبر المدخل المعرفي في دراسة الثقافة أحد اتجاهين رئيسيين يحاولان الآن السيطرة على التفكير الأنثربولوجي المعاصر واقتسامه فيما بينهما، ويتصدر هذان الاتجاهان النقد الموجه للمدرسة الأنثربولوجية الاجتماعية التي حملت لواء الفكر الأنثربولوجي خلال النصف الأول من القرن العشرين وخاصة في بريطانيا، ونعني بها مدرسة البناء الاجتماعي والتحليل الوظيفي، التي أرسها قواعدها كل من راد كليف براون ومالينوفسكي، ويستند هذا النقد على أن التفسيرات البنائية للمجتمع تفسيرات استاتيكية، ولا تعترف

بالقوى المتعارضة والمتصارعة داخل البناء الاجتماعي، وتحاول أن ترد كل شيء إلى فكرة التوازن، كما تتجاهل المدرسة البنائية العلاقات الاجتماعية الواقعية، وتهتم فقط بالعموميات، ومعنى ذلك أنها لا تهتم بالواقع المتغير أو بعلاقات الأفراد بعضهم ببعض، ويفهم من ذلك أن ما يصفه العلماء البنائيون ليس هو الواقع، وإنما هو شيء متخيل ومتصور وليس له وجود خارج أذهانهم، وأن ما يقدمونه للقارئ هو مجتمع من صنعهم هم أنفسهم ولا علاقة له بالحقيقة الواقعية، ومرد ذلك إلى إخفاق البنائيين في سبر غور أذهان أفراد المجتمع الذي يقومون بدراسته وإغفالهم التعرف على نظرة هؤلاء الأفراد أنفسهم إلى مجتمعهم والى الثقافة التي يعيشون فيها.(٨).

٣ – المنهج الوصفي :

يقوم المنهج الوصفي على تصوير الواقع الاجتماعي، والسعي لإبراز العلاقات التي توجد بين الظواهر والاتجاهات المختلفة وباستكمال هذين المرحلتين البحثيتين (الوصف، وإبراز العلاقات) ينتقل الباحث إلى خطوة أخرى يحاول فيها وضع تنبؤات عن الحالات التي ستؤول إليها الظواهر .

ولا ينبغي أن يتبادر إلى أذهاننا، أن استخدام المنهج الوصفي، يقوم على توظيف واستخدام الملاحظة بطريقة سطحية أو عرضية، بل العكس فالباحثون يقومون بما يلي :

١– التدقيق في فحص المواقف والاتجاهات التي تبدو للباحث أنها تشكل ظواهر أو مشكلات

٢– تحديد المشكلة وصياغة مجموعة الفروض المتعلقة بها .

٣– تنظيم الفروض .

٤– إيجاد نوع العينة، المناسب للبحث .

٥- تحديد طرق وأساليب جمع المعطيات الميدانية .

٦- انتقاء الأدوات البحثية المناسبة (الدقيقة، والصادقة) لجمع المعطيات من الواقع، والتوصل فيما بعد إلى النتائج المرجوة .

٧- القيام بإجراء الملاحظة (المنظمة والدقيقة).

٨- وصف نتائج الملاحظة بدقة .

٩- تحليل المعطيات وضبط النتائج، وكتاباتها في تقرير علمي وافٍ.

عموما يمكننا القول أن للبحث الوصفي في مجال العلوم الاجتماعية مرحلتين :

١- مرحلة البحث الوصفي : هذه المرحلة يقوم فيها الباحث باكتشاف الظواهر، والسعي لجمع المعلومات الضرورية عنها،ومحاولة إبرازها وتوضيحها .

٢- مرحلة التفسير : يقوم الباحث بعد الانتهاء من مرحلة الوصف بالانتقال إلى مرحلة التفسير، ويسعى الباحث في هذه المرحلة إلى استخلاص التعميمات حول الظاهرة المدروسة، وهناك نوعان للبحوث الوصفية :

أ- المسح الاجتماعي .

ب- دراسة الحالة .

من خلال ما سبق لا يظهر أن المنهج الوصفي في المجال البحثي، هو مجرد عملية وصفية، لما نرصده بحواسنا بل على العكس، فإضافة إلى ذلك، يتضمن المنهج الوصفي، التوصل إلى معرفة الأسباب وأهم النتائج المترتبة عنها، كما يساعدنا المنهج الوصفي من خلال عملية الوصف والتشخيص للواقع، إلى السعي لإيجاد السبل المناسبة لتطوير الوضع نحو الأحسن .

٤- المنهج المقارن :

إن الباحث في المجال الثقافي لا ينبغي له أن يتوقف، عند حدود عملية التحليل، بل لابد من أن يتعدى الدراسة التحليلية للأنماط الثقافية، بإستخدام المنهج المقارن، والفائدة العلمية المتوخاة من تطبيق المنهج المقارن ، هي محاولة ربط التحليل الثقافي بعقد المقارنات العلمية بين شتى أشكال التكيف الإنساني التي نشاهدها في مختلف الثقافات والحضارات، فمن خلال المنهج المقارن يمكننا أن نحيط بالظاهرة موضوع الدراسة .

وعلى هذا الأساس كما يذكر أحد الباحثين : " أن تطبيق المنهج المقارن، يقتضي منا تجنب المقارنات السطحية، والتعرض لجوانب أكثر عمقا لفحص وكشف طبيعة الواقع الثقافي، من خلال عقد المقارنات الجادة والعلمية بين شتى الثقافات، وكثيرا ما يستخدم أصحاب الاتجاه الثقافي مختلف المصطلحات الفنية، مثل: "السمات الثقافية " ، " المركبات الثقافية " ، "الدائرة الثقافية " ، وذلك للتوصل إلى تحقيق دراسة أوفى وأدق في ميدان المقارنة والتصنيف ".(٩).

إن المقصود بالمنهج المقارن، هو دراسة توزيع الظواهر الاجتماعية، أو الظواهر الثقافية، أو أنماط من مجتمعات معينة، أو حتى إجراء المقارنة بين مجتمعات بأكملها، أو رصد الاستمرار، التطور، أو التغير الذي يطرأ على النظم الاجتماعية أو الاقتصادية، أو السياسية .

وينظر مجموعة من المفكرين نذكر منهم : " عالم الاجتماع الفرنسي " إميل دوركايم " إلى المنهج المقارن على أنه طريقة الستلازم في التغيير أو الارتباط بين ظاهرتين إجتماعيتين، وينظر " سبنسر" إلى المنهج المقارن على أساس أنه رصد وجمع لأوصاف نظام محدد، في مجتمعات مختلفة، وفي الأخير يكون الهدف المنتظر هو التوصل إلى قوانين التطور الاجتماعي .

أما مجالات البحث المقارن فهي متعددة وكثيرة نذكر منها :

١- الدراسات والبحوث المتعلقة بالثقافة والشخصية، وذلك بإجراء دراسة مقارنة حول نمو وتطور الاتجاهات السيكولوجية والسوسيولوجية، وكذلك تطور أنماط الشخصية .

٢- دراسة الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي، وذلك من خلال تحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف .

٣- إجراء دراسة مقارنة بين النظم الاجتماعية، ودراسة الأنساق الثقافية، ثم دراسة الجماعة الرئيسية في المجتمع والتركيز على دراسة عمليات التغير التي أصابت النظم الاجتماعية .

٤- إجراء دراسة مقارنة لنماذج من التنظيمات الحديثة، كالتنظيمات السياسية، أو التنظيمات الصناعية ... في مجتمعات مختلفة .

٥- إجراء دراسة مقارنة، من خلال تحليل مجتمعات كلية .

وقد نشأ المنهج المقارن في مجال الأنثربولوجيا، عندما قام الباحثون الأنثربولوجيون بإجراء مقارنة بين المجتمعات البدائية، والمجتمعات المعاصرة، والهدف من ذلك هو إبراز الفرق بينهما من حيث مجال النظم الاجتماعية، وكذلك إبراز أثر البيئة الاجتماعية والطبيعية، في تكون بناء المجتمع وثقافته، وقد بدأت الدراسة المقارنة نظرية كلية، ثم فيما بعد صار إجراء الدراسة المقارنة بالاعتماد على الدراسة الحقلية .

٥ – المنهج الاثنوغرافي :

إن اعتماد أنثربولوجيو القرن التاسع عشر على المنهج المقارن للقيام بالدراسات الأنثربولوجية، قد إنتابه بعض القصور، فلم يعد المنهج العلمي الأمثل، فالمقارنة التي أجراها الأنثربولوجيون في ذلك الوقت كانت تقوم على القراءات

الواسعة، ومحاولة جمع المعلومة من هنا وهناك، خاصة ما ورد في كتب الرحالة، والمبشرين والحكام العسكريين بالمستعمرات، مما جعل من دراساتهم وأبحاثهم تتصف بالسطحية وقلة الضبط المنهجي وكمثال على ذلك، ما شاع حول الرجل البدائي، فهناك من وصفه بـ المتوحش، وآخر وصفه بالإنسان الهمجي، وفريق ثالث أطلق عليه إسم الفرد الاجتماعي، إن المقارنة في الدراسات الأكاديمية، إذا أردنا أن تكون علمية وصحيحة، فلابد من الإعتماد على ما هو كائن في الميدان البحثي، وملاحظة مكوناته، وبذلك نستطيع تحديد وتصنيف ما هو مشترك من الملامح بين المجتمعات، وغير المشترك .

وهذا الذي دفع الأنثربولوجيين فيما بعد للقيام بدراسات إثنوغرافية، وذلك بنزولهم وتنقلهم إلى ميدان الدراسة، والاتصال بالأفراد هناك، والإقامة بينهم لمدة قد تطول حسب الغرض من البحث، وفي هذا المجال يرى " إيفانز بريتشارد " أنه يجب على الباحث الأنثربولوجي، أن لا تقل مدة إقامته في مجتمع البحث عن سنة كاملة، وذلك لتعلم اللغة المحلية حتى إجادتها، وكذلك تمثل الأنماط والشعائر والطقوس في ذلك المجتمع .

فالمبشر – حسب إيفانز بريتشارد – الذي يريد تحويل أحد الشعوب البدائية إلى المسيحية يحتاج إلى أن يكون على شيء من المعرفة بنفس معتقداتهم وممارساتهم الدينية، وإلا إستحال عليه أداء المهمة، فنجاح العملية التبشيرية مرهون باستخدام لغة الأهالي ذاتها، أي وفق مفهوماتهم وتصوراتهم.(١٠).

وتطورت الدراسات الاثنوغرافية فيما بعد، وأصبحت تعتمد على منهجية البحث الحقلي، وبرز مجموعة من الرواد الأنثربولوجيين، وأجروا مجموعة من الدراسات الاثنوغرافية – حقلية – فقام "راد كليف براون Rad" Cliffe – Broun بدراسة ميدانية في " جزر الأندمان " سنة ١٩٠٦م ودامت فترة دراسته الحقلية سنتين، وتقع جزر الأندمان في شمال المحيط الهندي وكانت

دراسته امتحان لجملة النظريات الانثربولوجية، وإختبار صحتها بواسطة دراسة ميدانية في مجتمع بدائي، كما برز كذلك في مجال الدراسات الاثنوغرافية الحقلية " مالينوفسكي" حيث قام بدراسة ميدانية كانت مـدتها أربـع سـنوات (١٩١٤ ، ١٩١٨) وكانت دراسة لجزر " التروبرياند " " Trobriand " التـي تقـع فـي ماليزيا ، وكان مالينو فسكي أول من استخدم في دراسته لغة الأهـالي لنفسهم، وعاش بينهم مدة أربع سنوات حيث تقمص نظمهم وطقوسهم وشعائرهم الخاصة، وتوجهت دراسته بالتوصل إلى نظام التبادل المعروف باسم {الكولا} واستخدم في دراسته المنهج الاثنوغرافي التكاملي حيث قام بدراسـة شـاملة لمسائر الـنظم الاجتماعية التي لها علاقة اتصال بنظـام " الكولا ".

ثم جاء من بعده تلميذه " إيفانز بريتشارد " وقام بدراسـة اثنوغرافيـة لثلاث مجتمعات مختلفة فيما بينها فدرس مجتمع " الأزانـدي Azade" ، الـذي ينتمي إلى مجموعة الشعوب السودانية وهو مجتمع يعيش على الالتقاط مع بعض الزراعة البسيطة، ومجتمع " النوير Nuer " وينتمي هذا المجتمع إلى الـشعوب النيلية بجنوب السودان والمجتمع الثالث هو مجتمع بدوي ببرقة، وهذا الأخيـر يختلف عن النوير في اللغة، والديانة، والعادات، والتقاليد .

وتعتمد الدراسات الاثنوغرافية، على الملاحظـة العلميـة، وتخـضع الملاحظة الاثنوغرافية إلى شكلين أساسيين :

١- المونوغرافيا (الطريقة المباشرة): وظفها أغلب الأثنوبولوجيـون عند دراسة المجتمعات البدائية خاصة لما ركزوا في دراستهم علـى (العـرق، السلالة، أصول الثقافة، الطقوس، العادات، الشعائر.).

٢- الطريقة غير المباشرة : هي عكس الطريقة الأولى، فإذا كان الباحث في الأولى يقوم بالاندماج في مجتمع البحث، ففي الطريقة الثانية يعتمد الباحث على مؤلفات من سبقت لهم دراسة ذلك المجتمع، والاعتمـاد علـى ملاحظـات الرحالة أي : إعتماد الباحث على مصادر وثائقية تتعلق بذلك المجتمع .

رابعا: الطريقة الأنثربولوجية لدراسة المجتمع:

إن الدراسات الأنثربولوجية غالبا ما تتميز بانفرادها وتركيزها علـــى دراسة مجتمعات محلية مصغرة، وطريقة دراسة المجتمع المحلي، هي طريقـــة لدراسة السلوك الإنساني، بالتركيز على تحليل مجتمع محلي بالذات، وهي تمثل في الواقع تطبيقا لطريقة دراسة الحالة على أحد المجتمعـــات، فتهـتم بدراســة الخصائص الجغرافية، والأيكولوجية، والتاريخية لهذا المجتمع، مثـل اهتمامهـا بدراسة التنظيم الاجتماعي، والاقتصادي، والـــسياسي، والعمليـــات الاجتماعيـــة النفسية، وتكمن أهمية هذه الطريقة في أنها تعتمد على فحص السلوك والاتجاهات في صورتها الطبيعية، في إطار السياق الكلي للتفاعل الاجتماعي.(١١).

وقد قام الجيل الثاني من الأنثولوجيين الذين تتلمذوا على الرعيل الأول من علماء الأنثربولوجيا بدراسات حقلية في كثير مـــن المجتمعـــات الأوربيـــة، والإفريقية، والآسيوية الريفية، والصناعية الحديثة، كما اتبعوا في دراساتهم طرقا جديدة زاوجوا فيها بين طريقة الملاحظة بالمشاركة التي تعتمـــد علـــى الإقامـــة الطويلة والمعيشة في المجتمع، وطريقة دراسة حياة الأفراد، كما اعتمـــدوا فـــي تحقيق فروضهم على الدراسات الكمية التي كان ينفر منها البـــاحثون الأوائـــل، ومن هذا الفريق من الكتاب أو الباحثين (أوسكار لويس،Oscar Lewisç) أستاذ الأنثربولوجيا بجامعة الينوس بأمريكا، وقد حاول في إحدى كتبه أن يتعمق فـــي فهم المجتمع عن طريق دراسة حالة الأسرة، وتتبع تاريخ حياة أفرادها كما يرونه بأنفسهم.(١٢).

ويتلخص المنهج الذي اتبعه المؤلف في تلك الدراسة في المزاوجة بين الطرق التقليدية المستخدمة فـــي البحـــوث الـــسوسيولوجية، والأنثربولوجيـــة، والسيكولوجية، وهي تتضمن الاستبيانات والمقابلات والملاحظـــة بالمـــشاركة، وتسجيل تاريخ الحياة، وعددا من الدراسات الكلية الشاملة المركزة لحالات بعض

الأسر، كما اعتمد على بعض طرق علم النفس مثل اختبـــار توافـــق رد الفعـــل الرجعي والاختبار الاسقاطي المعروف باختبار -رورشـــاخ- واختيـــار تكملـــة الجمل.(١٣).

خامسا: طرائق البحث الأنثربولوجي:

١- طريقة الملاحظة بالمشاركة :

طريقة يعتمد عليها الباحثون الأنثربولوجيين باعتبارها الطريقة المثلـــى للحصول على المعلومات والبيانات التي تساعد على فهـــم الظـــواهر وتحقيـــق الفروض التي يضعها هؤلاء لتفسير تلك الظواهر التي يتوفرون على دراســـتها، وتتلخص عملية الملاحظة بالمشاركة في محاولة الباحث الاشتراك في الأنـــشطة الاجتماعية المتنوعة التي يقوم بها أعضاء الزمـــرة الاجتماعيـــة أو الجماعـــة موضوع الدراسة، بقدر ما تسمح الظروف والتقاليد، فمن خلال المـــشاركة فـــي مناسبات الزواج والوفاة والميلاد والذهاب إلى السوق والتردد على مجلس كبـــار السن والزعماء المحليين وزيارة منتديات الشبان ووحدات الإنتاج،يستطيع الباحث الأنثربولوجي أن يحصل على الكثير من المعلومات الحقيقيـــة عـــن العلاقـــات القرابية والاقتصادية والسياسية في المجتمع موضوع الدراسة.(١٤).

تعتبر الملاحظة بالمشاركة الوسيلة الأساسية في العمل الحقلي، وكثيرا ما يعول عليها الباحث في اختيار البيانات التي يستخلصها بواسطة بعض الوسائل الأخرى، وهي ليست عملية ميسرة بل يمكن أن تتعرض للقصور بتأثير الأفكار المسبقة لدى الباحث، أو اتجاهاته الخاصة بالنسبة لرؤيته للآخرين، أو ميله إلـــى إضفاء تأويلات متسرعة على كل ما يلاحظ، أو عدم اهتمامه بالربط بـــين مـــا يلاحظ وبين السياقات المكانية والزمانية التي يتم في إطارها.

ومصطلح الملاحظة بالمشاركة يتضمن فكرتين أقـــام عليهمـــا بعـــض الباحثين موقفا ذا طرفين أحدهما يمثل الاندماج في المـــشاركة والثـــاني يمثـــل

التركيز على الملاحظة والمهم أن هذا التقابل بين المشاركة الخالصة وبين الملاحظة الخالصة يشابه التقابل بين موقفي الاستغراق والانفصال اللذين يشار إليهما في الدراسة الحقلية الأنثربولوجية كعملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته عليه بعد ذلك.(١٥).

٢- طريقة تاريخ الحياة :

لقد حدد "دولارد" في" محكات تاريخ الحياة"، عددا من القواعد لجمع واستخدام الوثائق الشخصية ذات الطابع السيري .فلقد دعا إلى تركيز الانتباه على الطريقة التي يربي بها الطفل، خصوصا في مرحلة بداية الحياة، حيث تتم التربية في كل اللحظات، وعلى دور العالة المتغير تبعا للمجتمعات وعلى تجربة الفرد مع تناولها باستمراريتها منذ الطفولة وحتى سن البلوغ، وعلى الوضعية الاجتماعية التي تجري التربية فيها، مثلما تظهر عليه موضوعيا بالطبع،ولكن أيضا مثلما تبدو عليه هذه الوضعية بالنسبة للمعني بها نفسه.

لقد نالت تواريخ الحياة، من سير ، وسير ذاتية، بالإضافة عموما إلى كل الوثائق التي تسمى بيانية من رسائل وصحف حميمية، وتقارير حول حياة مجموعات إنسانية صغيرة مكتوبة من قبل أحد أعضائها، أهمية من الدرجة الأولى في الأنثربولوجيا الأمريكية، والقصد من هذه الطريقة، هو توفير الفرصة لجعل كيان ما حياته وتطوره ومصيره، مفهوما وحيا، فالوقائع الإنسانية تتدرج دوما في وجود زمني، ولا يمكن أن تفهم إلا بالرجوع إلى مصير خاص، لذا يبدو من المناسب عرض الحياة بتعابير ذات دلالة بالنسبة لأولئك الذين عاشوها .(١٦).

٣-الطريقة الجينيالوجية :

كان "ريفرز" قد وضع أسس هذه الطريقة وهو يعمل ضمن بعثة جامعة كمبردج عام ١٨٩٨م وهي تقوم على أساس تتبع العلاقات بين الإخباري وسائر المرتبطين به قرابيا، وتسجيل ما يراه من بيانات تشمل الأسماء والأنواع وتواريخ الميلاد والزواج والطلاق والوفاة والإقامة وأنواع الروابط الزواجية والعمل، وغير ذلك من البيانات التي تفيد موضوع الدراسة، ويقوم الباحث باستخلاص هذه المعلومات في مذكراته خلال العمل الحقلي، ثم يقوم بعد ذلك بتفريغها في أية صورة تساعد على فهم العلاقات ولقاء الضوء على التنظيم الاجتماعي القائم، وعندما توضع هذه البيانات في صورة تخطيط هندسي فإنها تعبر تعبيرا سريعا وواضحا عن العلاقات والارتباطات وينبغي أن ينتبه الباحث منذ البداية إلى أهمية الحرص على تفهم معاني المصطلحات من وجهة نظر الأهالي بمعنى الأبوة الاجتماعية والبيولوجية، ومعنى البنوة المستمدة من الميلاد أو الرضاعة أو التبني أو غيرها، وكذلك طريقتهم في تقدير الأعمار وحساب التواريخ. (١٧).

٤- طريقة الحالة الفرضية :

تقوم هذه الطريقة على بناء افتراضات حول عناصر الظاهرة؛ اجتماعية / ثقافية، و يسعى البحث إلى إثباتها والتحقق منها، حيث لا تظهر جماعة ما هذه العناصر إلا في حوادث أو حالات معينة، وبناء على ذلك تسعى هذه الطريقة إلى فصل حالات في حياة الناس تبعا لأشخاص وعلاقات وحوادث فرضية تتفق مع النماذج السائدة في ثقافة الجماعة، والتي يستخدمها الباحث لإدارة المناقشات وتوجيهها، مع أفراد الجماعة الموضوعة تحت الدراسة، ولذلك فعندما تكون الحوادث مصطبغة بمعنى غيبي سحري مشؤوم، مثل الولادة أو عندما تتضمن المسائل الاقتصادية وقائع لا يريد الفرد أن يكشف عنها إذا كانت تعنيه أو تعني

شخصا آخر يمكن أن تجري المناقشة بحرية إذا لـم يكـن الـشخص المعنـي موجودا . (١٨).

٥- الطـرق الاسـقاطية :

وهي وسيلة للتوصل إلى الدوافع والاتجاهات الكامنة لدى الإخباريين، والتي لا يتم الكشف عنها من خلال الملاحظة والمقابلة، وحتى لو أراد الإخباري الكشف عنها فانه لا يستطيع أن يعبر عنها بسهولة ولهذا فان الباحث يرتب لـه بعض المواقف التي يتحدث خلالها بتلقائية تعكس حالته الداخلية، وقـد اسـتخدم "فرويد" اصطلاح الإسقاط Projection كوسيلة من وسائل الدفاع تحاول الذات من خلالها إضفاء دوافعها ومشاعرها على الأشـخاص الآخـرين أو الأشـياء الأخرى ومن ثم تبقى بعيدة عن المستوى الشعوري وعالج كثيـر مـن علمـاء التحليل النفسي، هذه الفكرة في كتاباتهم موضحين أن إدراك الإنسان لمحتويـات العالم الخارجي، لابد أن تتأثر بادراكاته الـسابقة ومـشاعره واتجاهاتـه نحـو الشخص الذي ينظر إليه، وعلى هذا الأساس، ابتكر العلماء عددا من الاختبارات التي تتيح الكشف عن نوعية استجابات الفرد للمؤثرات التي يراها أمامه، وهي لا تهتم بما إذا كانت هذه الاستجابات صائبة أم خاطئة لأن المهم هو كيفيـة رؤيـة الشخص لهذه المؤثرات وتفسيره لها، وكمثال على الاختبارات الاسقاطية، اختبار بقع الحبر " لروشاخ" . (١٩).

٦- المقابلـة :

إن الدافع لاستخدام المقابلة، أثناء إجراء البحث الأنثربولوجي الميداني، هو السعي لمعرفة وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة، وأسلوبهم المتميز في النظر للأشياء والكائنات، ولن يتأتى هذا إلا باستخدام طريقة الحوار، والمقابلة كما نعلم نوعان : مقابلة موجهة ومقابلة غير موجهة، وينصح المختـصين فـي مجـال الأنثربولوجيا باعتماد النوع الثاني من المقابلة ، وذلك لأنه يعطي الحرية الكاملة

والارتياح النفسي للشخص الذي تجرى معه المقابلة (المبحوث) للإدلاء بآرائه حول الموضوعات المستفسر عنها .

وخلال المقابلة يتلخص موقف الباحث في أن يكون مستمعا وملاحظا جيدا، فهو يستمع لكل كلمة تقال وفي الوقت نفسه يلاحظ كل الإيماءات والايعازات وحركات الأيدي وباقي أعضاء الجسم خلال الحديث، والاستماع يعني ألا يوجه الباحث أفكار الإخباري بل يساعده فقط على أن يعبر عنها بالصورة التي تفيد الدراسة، فينتبه جيدا إلى ما يقول، وعندما يتوقف يساعده على الاسترسال بإعادة آخر جملة ذكرها في صيغة سؤال، أو إثارة سؤال حول آخر ملاحظة أبداها، أو الربط بين الملاحظة الأخيرة وملاحظة واقعة أخرى سابقة، أو إدخال عنصر جديد في المناقشة ليكون نقطة انطلاق جديدة لمزيد من الأسئلة، وفي كل هذه الحالات ينبغي أن تظل المناقشة تحت سيطرة الباحث دون أن يشعر الإخباري بذلك.(٢٠). المقابلة كما ذكرت نوعان:

أ- المقابلة الموجهة :

هي عكس المقابلة الحرة، ففي هذه الحالة يقوم الباحث بإعداد استمارة تحتوي على مجموعة من الأسئلة توضع غالبا بدقة محكمة ومضبوطة، حول الموضوع أو الظاهرة التي نريد دراستها، وبعد ملأ الاستمارات من طرف أفراد العينة المحددة، يسترجعها الباحث، ليقوم بتفريغها، وقليلا ما تستخدم المقابلة الموجهة في الدراسات الأنثربولوجية ، إلا إذا أجري البحث الأنثربولوجي في مجتمع متطور أو متمدن، خصوصا وأن الأنثربولوجيا في وقتنا الحالي صار مجال اهتمامها أيضا المجتمعات الصناعية أو المجتمعات الحضرية، وسيظل استخدام المقابلة الموجهة، أو إعداد استمارة أثناء دراسة مجتمعات بدائية، أو قروية غير مجدي، لأن ذلك يكون مثار شكوك وقلق من طرف الأهالي تجاه

الباحث الذي ينظر إليه على أنه غريب، وبالتالي فالأنسب في مثل هذه المجتمعات هو الاعتماد على المقابلة غير الموجهة .

ب- المقابلة غير الموجهة :

المقصود بالمقابلة غير الموجهة، أو المقابلة الحرة، هي أن يعمد الباحث للاتصال بأفراد، غالبا ما يتمتعون بشأن ومكانة داخل الجماعة، حيث يمتلكون رصيدا هائلا من الأخبار و المعلومات سيما ما تعلق منها بالبناء الثقافي، والبناء الاجتماعي للمجتمع، ويقوم الباحث بتوجيه أسئلة منوعة لهؤلاء الإخباريين ويترك لهم حرية الإجابة، فيسترسلون في الكلام، وعلى الباحث أن لا يقوم بتوجيه إجاباتهم وجهة معينة وفي هذه الحالة على الباحث أن يقوم بتسجيل جملة الإجابات .

٧- الاعتماد على الإخباريين :

الإخباريون هم الأشخاص العارفون بـ "النشاط "، أو " الحدث " ، أو" القضية " موضوع البحث، بمعنى أن الباحث الأنثربولوجي، إذا أراد مثلا أن يقوم بجمع مادة علمية حول " التنشئة الاجتماعية للأبناء " فعليه في هذه الحالة أن يسأل الآباء عن أساليب تعاملهم مع الأبناء من الجنسين من حيث التوجيه والمراقبة والنصح والعقاب والتدريب ...الخ، كما أن عليه أن يسأل أيضا المشتغلين بالتربية والتعليم والتقويم ويسأل الأجداد حول رؤيتهم لطرق التربية المعاصرة، كما يسأل الأبناء في رؤيتهم للمعاملة التي يلقونها داخل الأسرة .(٢١).

وتحديد فئة الإخباريين من قبل الباحث، يرجع بدرجة كبيرة، إلى نوعية الدراسة أو البحث، فإذا كانت الدراسة حول ظاهرة النزاعات والصراعات بالطرق العرفية، فالباحث في هذه الحالة يتصل برؤساء القبائل والأعيان، والأفراد العارفون الذي يعود إليهم في فصل النزاعات والخصومات الأهلية،

ولابد على الباحث الأنثربولوجي أن يعمق صلاته بفئة الإخباريين ويا حبذا الوصول معهم إلى درجة الألفة والثقة، كي يحصل منهم على المعلومات المفيدة، والكافية، التي تخص موضوع البحث أو الدراسة، ويمكن للباحث لتعميق الصلة بالإخباريين أن يقدم لهم بعض الهدايا أو الخدمات، دون أن يجعل ذلك ثمنا أو مقابلا للمعلومات التي تقدم له .

سادسا: العلاقة بين منهج البحث، وطريقة البحث:

إن من أهم مواصفات الدراسة الأنثربولوجية أنها دراسة تكاملية وشاملة، أي لها نظرة شاملة للنظم والظواهر الاجتماعية، وذلك في ارتباطها بالمناخ الاجتماعي من جهة، وبالجانب الأيكولوجي أو البيئي من جهة ثانية، وعموما فالحقائق الأنثربولوجية تفسر من خلال ترابط عناصرها ومكوناتها بعضها ببعض، وقد كان تطور وتعدد المناهج في مجال الأنثربولوجيا إستلزاما لتطور مجالات الأنثربولوجية وموضوعاتها وإهتماماتها البحثية ومدى الاستفادة المرجوة من وراء ذلك، فمن حيث مجال الدراسات الأنثربولوجية، فنجد إهتماما بتطور الإنسان من الناحية الفيزيقية، ومن جهة أخرى دراسة حياته الاجتماعية والثقافية مما يجعل الاعتماد على المنهج التجريبي في الأولى، واعتماد المنهج الوصفي أو المنهج المقارن في الأخرى

وبإطلالة تاريخية حول تطور الأنثربولوجيا فنجدها قد بدأت من خلال إنجاز بحوث أو دراسات مونوغرافية " وصفية "، حيث كان يقوم الزائر الهاوي أو الرحالة أو حتى الباحث المختص فيما بعد بمجهود تجميعي ووصفي لحياة جماعة بشرية مصغرة، وذلك من خلال الكتابة عن إثنيتها وعاداتها وتقاليدها، ولباسها ونمط مسكنها ... ثم تطورت الأبحاث الأنثربولوجية شيئا فشيئا إلى بحوث مقارنة بين الجماعات والثقافات الإنسانية بغية تحديد مراكز الإبداع الثقافي الأولى، أو من أجل اكتشاف مدى التشابه بين الثقافات، ومحاولة تفسير

ذلك، ثم تطورت مناهج للبحث الأنثربولوجية، حتى صارت تستخدم المناهج الإحصائية، وتساير جملة المبتكرات العلمية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وهنا فكرة هامة لابد من الإشارة إليها، وفحواها أنه لا يمكن في علم الإنسان الفصل بين النظرية والجانب الميداني، فالباحث يختار المنهج النظري، مما يسهل عليه تحديد فروضه العلمية التي تكون بمثابة المنطلق نحو تجميع المعلومات الاثنوغرافية المناسبة، وبعد عملية الجمع، يقوم الباحث بتحليل وتفسير للمعطيات الميدانية التي قام بجمعها، وفي كل هذا، على الباحث بعد أن يلم ويحدد موضوع ومنهج البحث، والنظرية المتعلقة بذلك، عليه أن يتحلى بالموضوعية، فهذه الأخيرة هي جوهر العلم .

فلا يمكن للباحث الأنثربولوجي، قبل ذهابه إلى الميدان، أن يكون في رصيده مجموعة من الأحكام المسبقة، عن مجتمع الدراسة، كأن يحكم عليهم بالهمجية أو التخلف، وما شابه ذلك من أحكام، ففي هذه الحالة يبتعد الباحث عن الحقيقة العلمية، ويظل مجهوده كاملا مركزا نحو إثبات وإبراز الأحكام المسبقة وبالتالي يكون بحثه خاليا من الموضوعية .

هناك من الباحثين من يرى أن هناك فرق جوهري بين مناهج البحث Méthodologie، وطريقة البحثMéthode، أو آلية البحث، فالأولى تعني عدة نهوج متباينة السبل في استقصاء ودراسة الواقع، أي عدم اقتصارها على جمع المعلومات والبيانات، بل قياسها من خلال فرضيات تحتمل البرهنة، أو الرفض لتصل في النهاية إلى نتائج تحلل حسب للمنطق الذي تعتمد عليه، وقد يكون منطق تجريبي، أو بنائي، أو صراعي أو نفسي- اجتماعي، فتنمطه بنصوص نظرية تتناسب مع واقع الدراسة أي تحويل الواقع المدروس إلى تفاسير وتحاليل ذهنية مجردة، في حين تعني طريقة البحث أدوات جمع

المعلومات و البيانات فقط خالية من الاحتمالات والتحاليل، والبرهنة، و التفاسير الذهنية المجردة.(٢١).

إذا كانت مناهج البحث الأنثربولوجي تشير إلى الأساليب المنهجية العامة التي يستخدمها الباحث للوصول في نهاية المطاف إلى النظرية أو القانون، فان الطريقة الأنثربولوجية لدراسة المجتمع تعني تطبيق قواعد المنهج نفسه في دراسة مجتمع ما دراسة أنثربولوجية في زمان ومكان معينين، فإذا كان المنهج الاثنوغرافي يتحدث عن ضرورة جمع وتسجيل المادة الاثنوغرافية في مجتمع ما عن طريق الدراسة العلمية الموضوعية، فان طريقة الملاحظة بالمشاركة، وتاريخ الحياة تعد من الطرق الأنثربولوجية التي يمكن أن يحصل منها الباحث على معلوماته الاثنوغرافية من الميدان تمهيدا لوضعها موضع التفسير والتحليل، والمقارنة والتأويل، وإذا كان المنهج المقارن منهجا عاما يستخدم في مجال الدراسات الأنثربولوجية، والسوسيولوجية، والتاريخية، والأدبية، فان استخدام طريقة المقارنة في الدراسات الأنثربولوجية يعد جانبا تطبيقيا لهذا المنهج في مجال علم الإنسان.(٢٢).

الخاتمة :

هناك فرق بين المنهج الأنثربولوجي والطريقة الأنثربولوجية، فإذا كان منهج البحث الأنثربولوجي هو جملة الخطوات أو الأساليب التي يعتمده الباحث أثناء القيام ببحث علمي، ويكون هدفه في النهاية هو الوصول إلى نظرية أو قانون أو تعميم، فان الطرقة الأنثربولوجية تعني تطبيق قواعد المنهج الذي تم اختياره أثناء القيام بدراسة مجتمع ما، دراسة أنثربولوجية .

وإذا كانت مناهج البحث Méthodologie تعني عدة نهوج متباينة السبل في استقصاء ودراسة الواقع، أي عدم اقتصارها على جمع المعلومات والبيانات، في حين تعني طريقة البحث أدوات جمع المعلومات و البيانات فقط خالية من الاحتمالات والتحاليل، والبرهنة، و التفاسير الذهنية المجردة .

ونظرا لصعوبة التقيد بالموضوعية، في مجال العلوم الإنسانية، فغالبا، ما ينساق الباحث دون شعور منه لأن يتحيز لإيديولوجيته، أو أحكامه الشخصية، أو ينحاز في دراسته لسلالة دون سلالة أخرى ونظرا لهذا الإشكال الذي يقلل من قيمة النتائج المتوصل إليها أثناء إجراء الأبحاث والدراسات، فقد حاول العديد من الأنثربولوجيين أن يضعوا جملة من الضوابط رغبة منهم من أجل الوصول إلى تقنين المنهج أثناء القيام بالدراسة الميدانية، وللقضاء على مشاكل البحث المطروحة في مجال الأبحاث الإنسانية والاجتماعية، انتهج الأنثربولوجيون عدة طرق علمية موضوعية، من أجل التوصل إلى نتائج علمية سليمة.

المراجـــع:

1- André,Lalande : vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie ,6ème Edition press, univers de France , paris , p293.

٢- بدوي عبد الرحمن : مناهج البحث العلمي، القاهرة، دار للنهضة العربيـة، ص١٩٦٣، ص٥٠.

٣- فتحية محمد إبراهيم، وآخر: مدخل لدراسة الأنثربولوجيـا المعرفيـة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٢، ص٧٩.

٤- أحمد أبوزيد: بدايات الأنثربولوجيا العربية، مجلـة العلـوم الاجتماعيـة، مج٢٨،ع١، الكويت، ربيع ٢٠٠٠، ص١٩٢.

٥- محمد حسن غامري: المنـاهج الأنثربولوجيـة، المركـز العربـي للنـشر والتوزيع، الاسكندرية، (د.ت)،ص٢٥،ص٢٦.

٦- ليفانز بريتشارد : الأنثربولوجيا الاجتماعية، تر: أحمد أبـو زيـد، الهيئـة العامة المصرية للكتاب، مصر، ص٨٥.

٧- محمد حسن غامري: المناهج الأنثربولوجية، مرجع سابق،ص٣٥،ص٣٧.

٨- أحمد أبوزيد: مـاذا يحـدث فـي علـم الإنـسان، مجلـة عـالم الفكـر، مج٨،ع١،وزارة الإعلام، الكويت،١٩٧٧، ص٢٤٦،ص٢٤٧.

٩- قباري محمد إسماعيل : مناهج البحث في علم الاجتماع، مواقف وإتجاهات معاصرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص٢٦٦ .

١٠- ليفانز بريتشارد : الأنثربولوجيا الاجتماعية، تر : أحمد أبو زيـد، منـشأة المعارف، الاسكندرية ، ص١٦١.

١١-محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦،ص٧٥.

١٢-محمد عبده محجوب: لافيدا،أو الحياة، مجلة عالم الفكر، مج١، ع٢،الكويت، يوليو، أغسطس، سبتمبر، ١٩٧٠،ص٢٦٧،ص٢٦٨.

١٣-محمد عبده محجوب: لافيدا أو الحياة، مرجع سابق،ص٢٦٩.

١٤-محمد عبده محجوب:لافيدا،أو الحياة،مرجع سابق،ص٢٦٩،ص٢٧٠.

١٥- فتحية محمد إبراهيم وآخر : مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان " الأنثربولوجيا " ، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٩٨٨، ص١٨٥.

16- Pierre Erny;Ethnologie de L'éducation , Presses universitaires de France , Pari .1981.

١٧- فتحية محمد إبراهيم وآخر : مدخل لدراسة الأنثربولوجيا المعرفية، مرجع سابق ،ص ٢٠٣.

١٨-عيسى الشماس : المدخل إلى علم الإنسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص٨٨.

١٩- فتحية محمد إبراهيم : المدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٢، ص١٩٤.

٢٠- فتحية محمد إبراهيم وآخر : نفس المرجع .ص١٩١.

٢١- محمد عبده محجوب : طرق ومناهج البحث السوسيوأنثربولوجي ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص٥٥، ص٥٦.

٢٢- معن خليل عمر: مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،٢٠٠٤،ص٢٠.

٢٣-زكي محمد إسماعيل: الأنثربولوجيا والفكر الاسلامي،شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢، ص١٠٧.